أمام محكمة الشرف:

الصورة الجوية.. "الضائعة".. أيضاً!

● الطيار على عفت تحيج فى وقف المشروع

محمد خلف الله

تحقيق

نيثر هذا الأسبوع .. قضية « الصور الجوية الضائعة » من مشروع المسح الجوى للحاصلات الزراعية ، وقرار وزير الحربية بوقف المشروع نهائيا لخطورته على الأمن ، لما يترتب على [كشف المواقع العسكرية ، والرحلة الغامضة إلى باريس ، والصور الجوية للسد العالى !

وهذه الأسرار ، التى تعلنها لأول مرة .. فى حاجة إلى الوقوف عندها .. ونحن نواصل هذا الأسبوع عرض القضية الخطيرة .. التى تقدمها محكمة الشرف .

● الصور الجوية كشفت المواقع العسكرية والمنشآت والكبارى .. والمصانع

رغم مرور أكثر من ٤ سنوات .. فإن الطيار على عفت لم يهدأ .. واستمر فى معركته حتى صدر قرار من الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية فى ذلك الوقت .. بوقف المشروع نهائيا .. وكان هذا القرار انتصارا كبيرا لصالح مصر .. وهى تستعد لمواصل مسيرة الصمود بعد الهزيمة ، فبنى المواقع والمطارات .. وتعيد بناء قواتها المسلحة .. استعدادا ليوم تنتصر فيه ارادة الشعب .. بانتصار قواته المسلحة .. انتصارا يمحو آثار الهزيمة .

وبعد الهزيمة بأكثر من سنة كاملة .. وفى ١٢ يونيو ١٩٦٨ .. أصدر الفريق أول محمد فوزى ، وزير الحربية قرارا بوقف المشروع نهائيا .. وأرسل بذلك خطابا إلى المهندس ابراهيم زكى القاضى ، رئيس الرى فى ذلك الوقت .. وتضمن هذا الخطاب الخطير ردا على كتاب وزير الرى المتضمن بحث ما جاء فى تقرير الطيار على عفت ، بشأن مشروع المسح الجوى للمحاصلات الزراعية .. وأعلن فيه وزير الحربية وأى الوزارة - والذى على أساسه قرر وقف المشروع نهائيا .

قال وزير الحربية .. إنه بالنسبة للدراسة الفنية لعملية تصنيف وحصر المحاصلات الزراعية بالتصوير الجوى ، فإن المشروع غير اقتصادى ، مقارنته بالمسح الأرضى ، علاوة على أنه يستلزم شراء خدمات وأفلام بالعملة الصعبة تصل إلى ٥٠ ألف جنيه سنويا ، كما أنه لايقدم النتائج المطلوبة منه فى مواعيدها ، وقد ثبت ذلك فى أعوام ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ ، فوصلت النتائج مثلا فى شهر يونيو بدلا من شهر مارس .. أى بتأخير ثلاثة شهور ، بالإضافة الى عدم دقة النتائج فقد كانت هناك فروق واضحة .. بمقارنتها بالمسح الأرضى

وهذا التلخيص .. هو ما أثاره الطيار على عفت ، وأثاره علوى حافظ .. فى الجلسة المسائية لمجلس الأمة يوم ١٩ يونيو ٦٧ .

كشف المواقع

وبالنسبة لخطورة المشروع على الأمن القومى ، وأمن القوات المصرية المسلحة .. قال وزير الحربية .

سبق أن أصدرت تعليمات بعدم اتمام تنفيذ عمليات المسح الجوى فى جميع محافظات الجمهورية عدا محافظات الفيا وأسيوط وقنا ، ومدينة الأقصر .. على اعتبار أن هذه المحافظات ليست بها أهداف عسكرية - وإن كانت بها أهداف استراتيجية .

وقال وزير الحربية :

وقد قررت مؤخرا والظروف الحالية وبعد النكسة بحوالى سنة كاملة والتوسع فى الانشاءات العسكرية ادخال محافظات : الفيا وأسيوط وقنا ، ومدينة الأقصر . ضمن المحافظات الممنوع التصوير الجوى ، فيها .. وهل هذا .. لايتفق من محافظات الجمهورية محافظة يمكن تطبيق قرار المسح الجوى الزراعى بها وهكذا تقرر وقف المشروع نهائيا .

ورغم وقف المشروع نهائيا .. فقد قام مدير المشروع ، فى أوائل شهر نوفمبر ١٩٦٨ باصدار تعليمات إلى ٢٠ من العاملين فى مشروع المسح الجوى للمحاصلات الزراعية ، الذى انهى نهائيا ، منذ ٥ شهور ، فى مأمورية بمحافظة القليوبية تبدأ من ٣ نوفمبر ٦٨ ، وتستغرق ٢٠ يوما ، وزودهم بالصور الجوية التى سبق أن التقطت لحساب المشروع سنة ٦٧ ، تحت قلق الزمام ، وحصر الأراضى البور فى تلك المحافظة ؟ !

.. وظهرت الصور

وكتب الطيار على عفت إلى وزير الحربية ، يذكره ببعض الحقائق التى صاحبت قرار وقف المشروع نهائيا - قال له .

فى مكتب وزير الحربية صباح يوم ٢٤ فبراير ١٩٦٨ ، وجه إلى الفريق محمد فوزى سؤالا عن مصير الأفلام والصور الجوية التى أرسلت الى المشروع منذ يناير ٦٦ ، وحتى إيقاف العمل فى المشروع - بناء على البلاغ الذى قدمته بتاريخ ١٤ فبراير ٦٧ ، وأجبت بأنها محفوظة كلها فى ادارة المشروع فى امبابة ، واستكمالا لقرار وقف المشروع ، ولتلبية لدواعى الأمن القومى امر وزير الحربية على الفور بسحب كافة الأفلام والصور الجوية من المشروع ، وبقدر عددها بمئات الآلاف ، حيث ثبت من التحقيق الذى طلبته عقب النكسة ، أن تلك الصور التى كانت تعطى للقياسين ، ولصغار العاملين ، ليتزلوا بها إلى الحقول والقرى ، لتمييز المحاصلات الزراعية دون أية رقابة أو تحفظ تحوى على جميع أهدافنا العسكرية والاستراتيجية ، وفى اعتقادى كما يقول الطيار على عفت أن أوامر وزير الحربية قد قامت بتنفيذها المباحة العسكرية .

وفى هذه الفترة كانت اسرائيل قد قامت بضربتها الجوية الناجحة واستولت على الشاطئ الشرقى لقناة السويس ، بعد أن احتلت سيناء .

وكانت مصر تقوم بتجهيز مسرح العمليات القادمة . وكانت مصر كلها عبارة عن مسرح العمليات القادمة .. وكانت مصر كلها عبارة عن مسرح العمليات العسكرية . وفجأة تظهر آلاف الصور الجوية .. بين أيدى المزارعين الزراعيين والساحين الشاهين للمشروع ليقوموا بمقارنتها بالأرض الزراعية فى محافظة القليوبية .

وهنا ثار عدة تساؤلات فكيف حصل مدير المشروع على هذه الصور ، بعد وقف المشروع نهائيا وبعد سحب جميع الأفلام والصور من المشروع ؟

الصور الضائعة

تساؤلات أخرى .. هل كانت هناك نسخ أخرى من هذه الصور ؟

وما الهدف من نزول هذه الصور الملتقطة بأخطر الأسرار الى القرى والحقول بعد وقف المشروع ؟ وإذا كانت دواعى الأمن قد اقتضت سحب تلك الأفلام والصور من إدارة المشروع .. كاجراء وقائى فكيف تجرأوا على مخالفة قرار وزير الحربية بالغاء المشروع ؟ ومن الذى طلب منهم استخدام مثل هذه الصور بحجة فك الزمام وحصر الأراضى ؟ ! !

واقعة أخرى .. هل وصل إلى علم أجهزة أمن الدولة ، كالمخابرات الحربية ، والمخابرات العامة ، فى ذلك الوقت ، أن صورا جوية « ضاعت » من أحد العاملين فى المشروع ، فى موسم الحصر الشتوى لسنة ١٩٦٧ ، فى محافظة سوهاج ، ثم عثر عليها بعد يومين وأن مديرية أمن سوهاج أبلغت المشروع بذلك .. و .. بس !

وبعد الهزيمة – هل تذكر أن إسرائيل قد قامت بغارة جوية مفاجئة على قاطع بحيرة حمادى ؟ وهى المنطقة المجاورة لمدينة بحيرة حمادى ، والتى تتفرع عندها ترعتان ترويان محافظات سوهاج .. وهذه المنطقة بالنسبة للعدو تعتبر هدفا استراتيجيا والتقطه بالطبع الصور الجوية للمحاصيلات الزراعية .

ولكن تساءل ومعنا الطيار على عفت ، هل هناك علاقة بين هذه الصور الجوية ، للضاعة ، لمحافظة سوهاج ، وبين الغارة الاسرائيلية على قاطع بحيرة حمادى ؟

وهل هذه الصور ، ضاعت ، فعلا ، أو أنها سحبت لأغراض أخرى . ثم أعيدت أو أنها سحبت نهائيا وأعيدت مكانها صور أخرى ، مجرد صور أخرى ؟ !

واقعة أخرى .. ضياع بعض الصور الجوية لمحافظة الفيوم . وقد ضاعت هذه الصور من أحد العاملين فى نفس المحافظة ، فى أبريل عام ٦٧ ، قبل المعركة بشهرين .. وتحرر « محضر شرطة » بالواقعة .

وصوروا السد العالى

وكالعادة .. تم تحرير محضر شرطة .. فى منطقة اللاهون .. المنطقة التى ضاعت فيها الصور ، على وجه التحديد ، وحول المحضر إلى قسم شرطة امبابة ..

وانتهى الموضوع .. بلا أى رد فعل داخل المشروع .. وكأن هذه الصور مجرد صور عادية .. وليست صورا خطيرة .. يتضمن بعضها أهدافا عسكرية أو استراتيجية .. تبغى المحافظة عليها .

واقعة ثالثة .. إن مشروع المسح الجوى للمحاصيلات الزراعية قام بالتقاط صور جوية لحساب المشروع فى محافظة أسوان .. تحتوى على صور جوية لمنطقة السد العالى .. وهى منطقة حتى عام ٦٧ خالية من المحاصيلات الزراعية التقليدية التى يتم بها مشروع المسح الجوى للمحاصيلات الزراعية ، فليست بها محاصيلات زراعية .. مثل القمح .. أو القطن .. أو الأرز .. فلماذا تم تصوير هذه المنطقة .. وهل كان الهدف هو تصوير منطقة السد العالى كمنطقة استراتيجية فقط ؟

وطلب الطيار على عفت من وزير الحربية ضبط مثل هذه العمليات ، المشبوهة ، ووقف العمل فيها بقية لدواعى الأمن ، كما طلب التحقيق فى موضوع الصور الجوية الضائعة ، فى محافظتى سوهاج والفيوم عام ١٩٦٧ ، والتحقيق فى مسئولية التقاط الصور الجوية لموقع السد العالى ، ضمن الصور الجوية للمشروع .

وطلب أيضا .. النظر فى إصدار قرار جمهورى يقضى بنقل إدارة المساحة الجوية ، والأقسام الفنية التابعة لها إلى [illegible] بدلا من [illegible] ، والتى ظلت [illegible] ست سنوات ، حتى فى عام ١٩٧٤ .. على أساس أن المساحة الأرضية التى تتبع الخرائط الطوبوغرافية والمساحة الجوية التى تتبع الصور الجوية تتبعان وزارات الحربية .. أو الدفاع .. فى معظم الدول الأوربية فى الجلترا وبلجيكا وهولندا وغيرها ، نظرا لخطورة هذه الصور الجوية على الأمن القومى .

عدد كبير !

ومع هذا فإن مشروع المسح الجوى للمحاصيلات الزراعية ، كان يتبع جهة مدنية ، هى مصلحة المساحة ، التابعة لوزارة الرى ، ورغم الأعداد الهائلة من الصور الجوية التى يتداولها المشروع والتى تتضمن أهدافا العسكرية والاستراتيجية ..

ومع ذلك فلم يخل المشروع أهدافه .. وفى مقدمتها أن يكون هذا المشروع بديلا لحصر الحاصلات الزراعية بالتحقيق الحقلى ، على أن يتم تميز الحاصلات وقياس مساحتها بالاستعانة بالصور الجوية مكتبيا ، أى دون النزول إلى الحقل كما كان يحدث من قبل .. الا أن مدير المشروع صرح فى احدى لجان التنسيق والمتابعة ، كما يقول الطيار على عفت بأنه سيلجأ الى التحقيق الحقلى لمدة عام أو عامين حتى يتم تدريب العاملين على استيعاب الأجهزة الحديثة ، التى اشريت لحساب المشروع

ويعلق الطيار على عفت .. فيقول

كان الواجب الحتمى هو إصدار قرار فورى بالغاء المشروع حتى من التجريب .. الا أن الذى حدث هو أن الصور الجوية التى تحتوى على أخطر أسرار المنطقة العسكرية والاستراتيجية ، ظلت فى الأسواق وفى المحفل فى أيدى صغار الموظفين ، وكانت النتيجة ، ضياع ، بعض هذه الصور الجوية ، حيث ثبت من التحقيق فيما بعد أن عدد الصور الجوية الضائعة من المشروع بلغ ٣٦٤ صورة جوية ..

ولم نحاول أية جهة أن تتحقق من نوعية هذه الصور الجوية .. وهل كانت تتضمن حاصلات زراعية فقط أم كانت تتضمن « أهدافا » عسكرية .. أو استراتيجية .. مثل الصور الجوية « للقناطر » من محافظة سوهاج .. والتى يربط الكثيرون بينها وبين عملية الغارة الجوية الخاطئة على بحيرة حمادى والتى ضربت فيها قاطر بحيرة حمادى .

واقعة هامة أخرى .. تستحق أن نقف عندها .. فى أبريل عام ١٩٦٦ .. قبل هزيمة يونيو بحوالى ١٤ شهرا .. وفى نفس الشهر الذى تم فيه الانتهاء من الخرائط الأولى للمسح الجوى والتى بلغ عددها ما يقرب من ٣٠ ألف صورة لمحافظات الجمهورية .. وبعد أن تم التصوير الجوى للجمهورية كلها ، فوجئنا كما يقول الطيار على عفت بقرار من مدير المشروع بسفر الوكيل الإدارى للمشروع .. وهو مهندس زراعى متقدم فى السن إلى باريس بدعوة علنية لحضور فرقة متقدمة لقراءة الصور الجوية ، مدتها ٦ أشهر ، ولكنه عاد إلى القاهرة بعد ٢٠ يوما فقط .. ووراءه خطاب من باريس يعتب على وزارة الرى اختيار هذا الرجل لتلك المهمة الدراسية المتقدمة ، خاصة أنه لا يجيد الفرنسية بالدرجة التى تمكنه من متابعة الدراسة

وطالب الطيار على عفت بالتحقيق فى هذه الواقعة .. وأثار عدة تساؤلات .. كيف وصلت هذه الدعوة .. إلى الوزارة ؟ ! ومن الذى وجهها إلى المشروع ؟ ومن الذى رشح هذا المهندس الزراعى لحضور هذه الفرقة المتخصصة الصعبة حتى على المتخصصين .. ؟ !

وبعد هزيمة يونيو .. برزت هذه الواقعة أمام الطيار على عفت لتثير عدة تساؤلات أخرى هل كانت هذه الرحلة العاصفة إلى باريس ، من أجل الدراسة حقا ، أم كانت من أجل تسليم الصور الجوية للعملاء ، وهى مهمة لا تستغرق سوى بضعة أيام ؟ !

وتساؤل آخر هل كانت هذه الرحلة العاصفة إلى باريس بعلم وزارة الرى ؟ وهل كانت تعلم مؤهلات المرشح لحضور هذه الفرقة ؟ أم أن قرار الترشيح انفرد به مدير المشروع لغرض فى نفسه ؟ وماهو موقف وزارة الرى بعد عودة هذا المرشح بهذه الطريقة ؟ !

تساؤلات كثيرة .. يثيرها مشروع المسح الجوى للمحاصيلات الزراعية والعلاقة بينه وبين هزيمة يونيو ٦٧ وفى نفس الوقت .. ماهى العلاقة التى تربط وزير الرى فى ذلك الوقت بمدير المشروع .. وهل هى مجرد علاقة بين الوزير ، وبين أحد المسئولين التابعين له ، وهو مدير مشروع المسح الجوى للمحاصيلات الزراعية .

المهم .. أن الطيار على عفت .. كتب إلى رئيس الجمهورية السابق – بلاغا من ثلاث صفحات .. وطلعه على الاستغلال وعرفه « لماذا أهاجم وزير الرى » وأطالبه باستدعائه ومحاكمته « وتناول فيه موضوع الانحراف والتخريب فى مشروع المسح الجوى للمحاصيلات الزراعية التابع لوزارة الرى .. وكان هذا البلاغ « العلنى » يوم ٢٣ مارس ١٩٧٨ .. وبعدها بأربعة أيام ، أرسلت برقية إلى وزير الرى فى ذلك الوقت ليقطع رحلته فى السودان ، ويعود فورا إلى القاهرة .. ثم استبعد من الوزارة بعد ذلك بأربعة أيام أخرى فى الوزارة التى شكلت برئاسة رئيس الجمهورية السابق ..

والقضية مستمرة .. □

● الطيار أول محمد فوزى .. فتح خطورة المشروع وأمر بوقفه نهائيا

● الملفات الجوية كانت هدفا للتصوير الجوى .